

خطبة لم يلد ولم يولد

ماجد بلال / جامع الرحمن ١٦ / ٦ / ١٤٤٥ هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، أما بعد:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أيها المؤمنون، المتأمل في فضل سورة الإخلاص

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

فهي سورة عظيمة ، تعدل ثلث القرآن، وقال ﷺ
لرجل كان يفتح قراءته ب قل هو الله أحد لما قال
: إني أحبها. فقال: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ)) (أخرجه
البخاري (٧٧٤م).

وقال لآخر كان يختم ب قل هو الله أحد أَخْبِرُوهُ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ)) (أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم. (813)

وقال لرجل سمعه يقرأها (وجبت له الجنة) .

أخرجه الترمذي (٢٨٩٧)، والنسائي (٩٩٤)، وأحمد (١٠٩١٩) واللفظ له. صححه ابن عبد البر في
(التمهيد) (٢٥٤/٧)، وابن العربي في ((عارضه الأحوذ)) (٤٠/٦)، والألباني في ((صحيح سنن
الترمذي)). (2897).

والمأمل في أعظم آية في القرآن الكريم وهي آية
الكرسي، من قرأها في يومه ومات دخل الجنة ومن
قرأها في ليلة ومات دخل الجنة ومن قرأها قبل

نومه لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان
حتى يصبح.

لما نتأمل في الجامع بين هاتين الآيتين نجد أن الجامع
لهما هو صفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده وتنزيهه
عن الشريك والند والصاحبة والولد ووصفة بالقوة
المطلقة والعزة المطلقة والجبروت المطلق الذي لا
يدانيه ولا يضاهيه شيء في الدنيا.

فسورة الإخلاص وصفت الله بأنه واحد أحد صمد
ليس بحاجة إلى الطعام والشراب وتصمد إليه
المخلوقات وتتجه، لم يسبق له أن ولد فلم يحتج إلى

أبوين، ولم يكن ضعيفاً سبحانه حتى يحتاج إلى
الولد.

وآية الكرسي فيها اثبات الحياة المطلقة لله تعالى
والقيومية فهو سبحانه (الحي القيوم) له الحياة
المطلقة والقيومية المطلقة، حي سبحانه وهو خالق
الحياة وبيده الحياة يحيي العظام وهي رميم ويحيي
الأرض بعد موتها ويخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي، يهب الحياة لمن يشاء سبحانه
ويسلبها ممن يشاء، لا مانع له سبحانه ولا مكره
يفعل ما يشاء وما يريد.

وهو القيوم القائم بذاته ونفسه، المقيم لغيره من الخلائق، فلا قوام للكون إلا به سبحانه.

فلذا كان اثبات ذلك لله من أعظم الايمان وأفضله، وكان كل شيء ينقص منه من أشد الكفر وأعظمه.

ومن هذا يتبين لنا عباد الله أن من ينسب لله الصاحبة والولد ويحتفل بمن يزعمه ابن الله، هو من أعظم الكفر والإساءة لله سبحانه وتعالى.

والولد في صفة المخلوق مدح، فالذي لا يولد له من الناس ناقص في أعين الناس، لأن المخلوق

ضعيف يشيخ ويهرم ويضعف ويموت وينقطع
ذكره، فهو بحاجة إلى الولد يتقوى به ويخلد ذكره.
بخلاف الله سبحانه وتعالى فهو الخالق الرب القوي
الحي القيوم الذي لا يشيخ ولا يهرم ولا يموت،
فإثبات الولد له، تشبيهه للمخلوق القوي بالخلق
الضعيف.

فربُّنا سبحانه متفرِّدٌ بالربوبية والألوهية، ما اتَّخذ
صاحبةً ولا ولدًا، لم يلد ولم يولد، وهذا المعنى
الأصيل الذي هو وحدانية الله سبحانه وتعالى هو
الذي جاء به القرآن والسنة

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ
الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ
مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَيُنذِرَ
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا
لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ
إِلاَّ كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٤، ٥] ، وقال تعالى : ﴿ مَا
اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ
كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ
اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

عباد الله، من أيقن بعظمة الله وقيوميته وكماله
وغناه لا يمكن أن ينسب لله ولدًا؛ ولذا قال مؤمنو
الجن: ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا
وَلَدًا** ﴾ [الجن: ٣]؛ أي: تعالت عظمته وتقدّست
أسماءه.

فما أحلم الله وأصبر الله على كفر الكافرين وشرك
المشركين! روى البخاري عن ابن عباس رضي الله
عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال قال
الله: ((**كذّبي ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني،
ولم يكن له ذلك، فأما تكذّبي إياي فزعم أني لا**

أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ:
لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أُتَّخَذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا))،

وفي الصحيحين قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: ((لَا أَحَدَ أَصْبِرُ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنْ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ
يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ)).

عباد الله، ادِّعَاءُ أَنْ لِلَّهِ وَلَدًا لَمْ تَكُنْ دَعْوَى فِي قُرُونٍ
سَابِقَةٍ وَاانْتَهتْ؛ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ مَا وَجَدَ الْكَافِرُونَ
وَالْمُشْرِكُونَ، فَمُشْرِكُوا الْعَرَبَ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ

بنات الله، وقالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت
النصارى: المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقول
الظالمون علوًّا كبيرًا!

استمعوا، تأملوا، تدبروا هذه الآية؛ قال الله
تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا
إِذَا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ
وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا
يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٨٨ -
٩٢].

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ ﴿ قَوْلًا عَظِيمًا فَظِيحًا مَنكَرًا ﴾

شنيعًا شديدًا، ومن شناعة وفضاعة نسبة الولد
للرحمن تتأثر السماوات الصلاب، والأرضون
الشداد، والجبال الرواسي، تكاد السماوات تتشقق
وتسقط عليهم، ﴿ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ﴾ ﴿ تَتصدَّعُ
وتتفطر، ﴿ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ ﴿ تندكُّ وتكون ترابًا.

وما تأثر هذه الأجرام العظام إلا إعظامًا للرب
وإجلالًا؛ لأنهن مخلوقات ومؤسَّسات على توحيد
الله جل جلاله، قال محمد بن كعب: "كاد أعداء
الله أن يقيموا علينا الساعة"، وقال البيضاوي في

تفسيره" : والمعنى: أن هول هذه الكلمة وعظمتها بحيث لو تصوّرت بصورة محسوسة لم تتحمّلها هذه الأجرام العظام، وتفتت من شدّتها، أو أن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم، وبدد قوائمه غضبًا على مَنْ تفوّه بها."

وقال ابن عباس في قوله تعالى ذكره: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠]، [٩١]، قَالَ: إِنَّ الشِّرْكَ فَرَعَتْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَجَمِيعُ الْخَلَائِقِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ،
فَكَادَتْ أَنْ تَزُولَ مِنْهُ لِعِظَمَةِ اللَّهِ.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعنا بما
فيهما من آيات وحكمة، قلت ما سمعتموه،
وأستغفر الله فاستغفروه.

الخطبة الثانية

الحمد لله لم يلد ولم يولد، والصلاة والسلام على
إمام الموحّدين نبينا محمد، أما بعد:

فإن نسبة الولد إلى الله من أعظم الكفر والشرك،
ومن أعظم المحرمات والذنوب الموبقات؛ قال الله

تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ

ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا

يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿المائدة: ٧٣﴾، فمهما زين الكافرون

طقوسهم وروّجوا لها، فهم كافرون، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ

غَيْرِ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴿١١٦﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي
بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ
الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ۗ أَنْ
أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا ۗ مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ

الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ ﴿ [المائدة: ١١٦-١١٧]

يا موحدون، من أجل النعم أن نعيش موحدين لله،

وأن نموت على التوحيد، نعمة وأي نعمة؟ إنها

تستحقُّ الحمد؛ ولذا حمد ربنا نفسه، وأثنى عليها

ومجدها، بانتفاء الولد والشريك والولي له؛ وأمر

نبيه محمداً ﷺ وأمته أن يحمده على هذه النعمة

التي هي أعظم النعم وأجلها فقال تعالى

ذكره: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّلِّ

وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿ [الإسراء: ١١١].]

صلوا وسلموا